الفصل العاشر

قوة التناقضات الثقافية

ملاحظة خاصة للقارئ:

كثير مما ورد في هذا الكتاب يحتوي على أساليب عملية لدعم التزامك بتحويل التناقض إلى تجديد وابتكار. ستجد طابعاً مختلفاً قليلاً في الفصلين العاشر والحادي عشر. قد تسمي هذا الطابع فلسفياً نوعاً ما. المهم في هذين الفصلين هو روح الرسالة أكثر من العناصر العملية [البراجماتية] الخالصة الموجودة في الفصول الأخرى. عندما تتحدث عن التناقضات الثقافية والعقائدية، فهناك مجال لآراء وفلسفات كثيرة والقليل من العلاجات التامة لذلك هدفي في هذه الفصول أن أحملك على التأمل في التحديات التي تواجهها جميعاً في العمل والعيش معاً في ما جرينا على تسميته «القرية العالمية». الهدف مساعدة كل واحد أن يكون مشاركاً بناءً في المحادثات التي تؤثر بالفعل على نتائج محددة أياً كانت هذه النتائج. ستجد في هذين الفصلين فرصاً كثيرة للارتقاء بنهجك في التعامل مع الصراعات العقائدية والثقافية التي هي جزء من حياتنا اليومية ومن الأحداث العالمية التي تؤثر علينا. في الوقت الذي أجلس فيه إلى الحاسوب لأطبع الفصل العاشر يخطر ببالي أنني أستعمل أحرفاً

obeikandl.com

طباعية تسمى «رومانية» لترمز إلى اللغة الأنجلوساكسونية التي أخذت أحرفها المكتوبة من الأبجدية اللاتينية. هذا شيء مثير للاهتمام. والأكثر إثارة للاهتمام هو أن الأرقام التي أستخدمها هي أرقام عربية. [الشكر لله أنني لا أستخدم أرقاماً رومانية].

هناك فأر صغير [ماوس] إلى يميني ومؤشر وسهم يشبه ذلك الذي كان يستعمله الإنسان البدائي لقتل الوعل. وتتحرك أصابعي على لوحة مفاتيح من البلاستيك صنعت من بعض المواد المشتقة من البترول، استخرج من أعماق الأرض في العربية السعودية. وقد صمم هذا الحاسوب بعض العلماء الأمريكيين مع بعض البرمجيات أوجدها مصممون ومحللون ومبرمجون ومجربون من سياتل وربما من مدراس ـ الهند ـ سأطبع سريعاً نسخة من الصفحة المفترضة على شاشة الحاسوب المسطحة [صنعت في الصين] ثم إلى ورقة اخترعها شخص صيني اسمه تساي لون في نحو السنة 105 ميلادية. صمم الورق ليحل مكان الخيزران والحرير والرق [جلد مصقول للكتابة] التي حلت محل أوراق البردي التي وضع هندستها المصريون.

الجد الأقدم لطابعتي ونموذجها المتحرك اخترعه شخص ألماني يدعى جوهان غوتينبرغ بعد أربعة عشر قرناً من تقديم تساي لون هدية للإمبراطور هوتاي التي كانت عبارة عن نماذج أو عينات من الورق. ومن المثير للاهتمام أن ثقافتي الأمريكية علمتني كثيراً عن جوهان غويتنبرغ ولكن لم يكن هناك ذكر لـ تساي لون.

يعد بعض المؤرخين أن اختراع الورق أكثر أهمية من اختراع المطبعة بالرغم من أن المطبعة جعلت المواد المكتوبة متوافرة للجماهير وهذا بدوره أحدث ثورة في عمليات الاتصال والثقافة. لولا الورق كما نعرفه لما خطرت

فكرة المطبعة على ذهن مخترعها. إن إنتاج الوثائق على نطاق واسع ما كان ممكناً ومعقولاً دون وسيلة نطبع عليها تكون متوافرة بشكل دائم ونقدر على شرائها. ولإدراك روعة اختراع الورق قم بهذه التجربة: اخرج من البيت، اقطع غصناً صغيراً من شجرة. قشَّر اللحاء لينكشف اللب. ضع اللب في خلاط [لم يكن لدى تساي لون مثل ذلك] مع بعض المواد الكيميائية. امزج الخليط كله معاً. صب المادة اللزجة الضاربة إلى الأصفر والأبيض على طاولة. افرش هذه المادة الغريبة الرائحة لتكون مسطحة رقيقة كما تفعل في رقاقة العجين. ثم ضع هذه الشريحة من المادة اللزجة في ورق معجنات. اخبزها في الفرن بدرجة حرارة 425° ولمدة 30 دقيقة. أخرجها من الفرن. عندما تبرد وتصل إلى درجة حرارة الغرفة ضعها في طابعتك الليزرية. اطبع وانظر ما يحدث. تذكر أنك معتاد على الطباعة باستخدام ورق موحد متقن دون نقط أو بقع تجعل الورق ينثني ويلتف ويبقى كما هو في هذه المتاهة التكنولوجية داخل طابعتك. يا للعجب!

كن شاكراً:

إليك المزيد عن تاريخ اختراع الورق. انتشر استعماله في الصين خلال القرن الثاني الميلادي وفي النهاية بدأ الصينيون تصديره إلى أجزاء أخرى من آسيا. وحاولوا إبقاء عملية صنع الورق سراً، ومع هذا في نحو عام 751 أُخِذ مجموعة من الصينيين أسرى من قبل العرب. وخلال وقت قصير كان الورق يصنع في سمرقند وبغداد. إنه شيء مثير للاهتمام.

ثم انتشر صنع الورق في القرن الثاني عشر من العالم العربي إلى أوربا. هل يمكنك أن تخمن من استنتج كم كان الورق ممتازاً وقرر أن يتوسع في استعماله في صناعة الكتب؟

الإجابة: السيد غوتينبرغ الذي كان مشروعه الأكثر طموحاً هو طباعة الإنجيل. لذلك فالذين يستمتعون بحمل إنجيل الأسرة في أيديهم كما هي حالك أنت لتقرأ لأحفادك لا بد أن تشكر:

- جوهان غوتينبرغ لاختراعه أسلوباً لطبع كثير من النسخ.
- تساي لون لاختراعه الورق.
- مجموعة من التجار العرب لإمساكهم مجموعة من صناع الورق الصينيين والذين على ما يظهر بدؤوا أول عملية صنع للورق في بغداد.
- المصريون الذين أعطونا فكرة الورق في المقام الأول على الرغم من أن ورق البردي الأصلي كان مكلفاً جداً ويتلف بالاستعمال اليومي. ولا تنسَ أن تشكر أمنا الطبيعة على الأشجار التي يأتي منها الورق.

ماذا يعني كل ذلك؟

إليك ما خلصت إليه من هذه المحاضرة القصيرة عن صناعة الكلمة وصناعة الورق وتقنية الطباعة. في مكان ما في الشرق الأوسط يطبع صحفي نقداً للثقافة الغربية في الوقت الذي يكتب صحفي أمريكي تعليقاً عن الثورات الثقافية في العراق. كلاهما يستخدم حاسوباً اخترع في الغرب. كلاهما سيطبع نسخاً أولية لمحرريهم على ورق اخترع في الشرق. والنتيجة هي أن أي شخص يدعي التفوق الثقافي في هذا العالم المذهل المعقد والمترابط هو محض متغطرس وهذا ما أعتقده فعلاً. شكراً لله على

obeikandl.com

هذه الثقافات الكثيرة وكذلك الاختراعات التي اجتمعت معاً لتجعل كتابي هذا بين يديك. علاوة على ذلك آمل أن يستفيد أولئك الذين في الغرب وفي الشرق من القراءة عن تحويل الصراع إلى إبداع. أضحك بيني وبين نفسي عندما أسمع أولئك الذين في الشرق ينتقدون الثقافة الغربية والذين في الغرب ينادون بفضائلها في الوقت الذي بدأت فيه الجذور الحقيقية للحضارة الغربية في ما يسمى اليوم الشرق الأوسط. ربما يفترض أن يكون الشرق الأوسط منتصف الطريق بين الشرق الأدنى والغرب. والسؤال، هل يوجد فرصة هنا؟

الجغرافية السياسية:

هذه هي النقطة المثالية التي نوسع فيها مناقشة التناقضات الثقافية. وأنا أقوم بذلك أرغب أن أقدم هذا التبرؤ. إن معظم من يقرأ هذا الكتاب سيوافق على الأرجح أننا نشهد الصراعات الثقافية التي تدعو إلى القلق في هذا الوقت من التاريخ العالمي. وبقدر ما أود الاعتقاد أن هذا الكتاب يمكن أن يكون له تأثير على المناقشات الثقافية المتعارضة والمفاوضات الجارية [أو غير الجارية التي يمكن أن تجري] فإنني أشك في أن يأخذ المشاركون فيها نسخاً من الكتاب في الوقت المناسب.

وبقدر ما تتساءل إن كان لدي اقتراح حول كيفية حل هذه الصراعات المأساوية وتفرعاتها البعيدة المدى، فإنني شخصياً ليس لدي أي اقتراح. وبقدر ما أنا متفائل. فإنني أدرك أن هذه الصراعات هي نتيجة لخصومات عمرها قرون أنتجت كثيراً من الاستياء والكراهية التي لن تخضع بسهولة لأي صيغ توجد في أي كتاب. إن حل هذه الصراعات

سيتطلب على ما يبدو تغييراً خارقاً في قلوب ملايين الناس المتورطين من كل جانب من جوانب الصراع.

وسأستمر في الدعاء لأجلهم. أملي أننا جميعاً سنستمر في تشجيع قادتنا ليكونوا محفزين على مساعدة الآخرين في تجاوز الغضب وخطر الصراع والوصول إلى إدراك للمصالح الأساسية التي يمكن التوفيق بينها. هناك حلول يمكن أن تتحاشى خسارة كل ما هو خير وطيب حتى في أكثر المناطق اضطراباً في العالم.

الثقافة؟

ما هي الثقافة؟ وعن أي شيء تتحدث؟ تعريف القاموس الذي ينطبق هنا هو: الثقافة شكل أو مرحلة خاصة محددة من الحضارة. ولتوسيع التعريف، تفكر في الحضارة على أنها مجموعة من الأشخاص ذوي مستوى فلسفي، سياسي أو تقدم تقني [تكنولوجي] مشترك. وفي الوقت الذي تتقدم فيه الحضارات، اختار المؤرخون الإشارة إلى مراحلها على أنها الثقافة.

مثل: الثقافة المصرية أو الإغريقية أو الأمريكية. وبمرور الوقت وسعنا دراستنا الثقافية أبعد من ذلك لتشمل أفكاراً مثل الثقافة العرقية والدينية والقومية والثقافة المشتركة وحتى ثقافة المجتمع الصغير والجوار وهكذا. وهناك مضامين لهذه الثقافات بهدف تحويل التعارض إلى تجديد وإبداع.

الثقافة العرقية:

عندما كنت طالباً في الصف المتقدم في المدرسة الثانوية اشترك والدي في مشروع تطوير الأرض في هاواي. وكان يسافر جيئةً وذهاباً إلى الجزر

ووقع في حب ذلك المكان الجميل والهواء النقي والناس. وأتذكر عندما أعلن أننا سنحزم متاعنا وننتقل إلى هيلو. كنت قد أنهيت المدرسة وكنت منشغلاً بأعمال الحكومة الطلابية وأنشطة أخرى. وكان لي صديقة. لذلك لم أكن من أعضاء المخيم السعداء عندما علمت بانتقالنا العاجل. ومع ذلك اشتركت في مساعدة والدي في الاستعداد لانتقال عائلتنا المكونة من عشرة أشخاص من مزرعتنا الصغيرة في أريزونا إلى تلك الجزر البعيدة في المحيط الهادي. البيت الذي استأجره والدي في هيلو لن يكون جاهزاً فوراً، لذلك رتبنا إقامة مؤقتة على الواجهة البحرية مباشرة. كان البيت متواضعاً: غرفتا نوم، بناء خشبي مغطى بصفائح رقيقة، لا بد أن عمر هذا البيت ثمانون عاماً. بني البيت على أعمدة خشبية قصيرة لمنع ماء البحر. كانت الألواح الأرضية تصدر صوت صرير. وكنا محشورين لضيق المكان. على كل حال كان الشاطئ خارج الباب الأمامي مباشرة وكان أمامنا المحيط الأزرق الرائع. ليلة وصولنا تناولنا عشاء مؤلفاً من فواكه فقط ـ أكثر مما تناولته في الستة أشهر السابقة. وقد اكتشفت أن عصير الأناناس في هاوي كان يجري كما تجري المياه من صنابير المطبخ. أتذكر أنني لم أكن أستطيع الحصول على ما يكفي من ذلك العصير الاستوائي اللذيذ. كان رائعاً. ربما كان ذلك العصير الرائع وركوب الأمواج قد ساعداني في التغلب على اشتياقي في البداية لصديقتي ولمنزلنا في فينيكس.

صقيع في هاواي:

أتذكر ليلتنا الأولى في هاواي. في الوقت الذي بدأت الشمس تغيب ومع هبوب نسمات عبر المياه، بدأنا نشعر بقشعريرة. لا بد أن الحرارة هبطت إلى 70 درجة فهرنهايت وتذكَّر أننا تركنا فينيكس في يوم من أيام حزيران

وكانت الحرارة فيه 112 درجة. كانت هناك ملاءات رقيقة في ذلك المنزل على الشاطئ ولم يكن هناك أغطية سميكة. وقد اعترف والدي أنه لم يدرك أننا سنحتاج أغطية ونسي ترتيب هذا الأمر. ولم يكن هناك أغطية في حقائبنا وسفينة الشحن التي تحمل متاعنا المنزلي لن تصل قبل أسبوعين.

أتذكر أننا جميعاً العشرة من أفراد الأسرة جلسنا معاً في غرفة الجلوس ونحن نرتجف كما لو أننا هبطنا في آنكوريج في ألاسكا. ثم قرع الباب. نهضنا جميعاً والتفتنا نحو باب غرفة الجلوس. فتح والدي الباب، وهناك عند المدخل وقف رجل من سكان هاواي ومعه امرأة. ما زلت أتذكر وجهيهما السمراوين وأكبر ابتسامة شاهدتها على الإطلاق. تكلم الرجل ليقدم نفسه وزوجته وتابع قائلاً إنه عضو في دائرة الإطفاء في هيلو وأن أحدهم أخبره عن وصول أسرة بيضاء من البر الرئيس مع ثمانية أطفال وكان لزاماً عليه الترحيب بهم.

دخل أصدقاؤنا الجدد للقاء الأسرة بكاملها وقاموا بمصافحتنا في الوقت الذي قدموا أحر تحياتهم. التفت رجل الإطفاء إلى والدي قائلاً: «سيد تشيكيتس يبدو أن أولادك يشعرون بالبرد قليلاً مع هذا النسيم الذي يهب من المحيط. أحضرنا لكم بعض الأغطية من محطة الإطفاء إذا أحببت استعمالها» وصار عندنا أغطية في تلك الليلة وشعرنا بالترحيب في منزلنا الجديد في هاواي.

جزيرة فوق جزيرة:

بعد مرور وقت، انتقلنا من منزلنا المستأجر إلى منزل رائع خاص بنا على جزيرة فوق الجزيرة. انساب نهر وايلوكو من أعالي الجبال في مركز

الجزيرة إلى خليج هيلو. كان هناك وسط النهر الذي يجري خلال مدينة هيلو جزيرة صغيرة تسمى ريدز. وهذا هو المكان الذي عاشت فيه أسرتي بعض الوقت. وكنت خلال سنوات الكلية أذهب وأعود. كان بيتاً مذهلاً فيه رواق جميل يطل على بركة سباحة كبيرة. كانت هناك أشجار استوائية مليئة بفاكهة كثيرة تنمو بشكل طبيعي في فناء البيت، لا أدري إذا كانت ذاكرتي تسعفني بشكل صحيح، عاشت على جزيرة ريدز خمس أسر وهي أسرة تشيكيتس وأربع أسر يابانية من هاواي. كان الجوار ممتعاً جغرافياً وثقافياً. وبما أنني لم أكن مقيماً دائماً على جزيرة ريدز، فكان علي أن أعرف عن تجارب أسرتي بشكل غير مباشر. أتذكر شيئين عن شعب هيلو يابانيي هاواي. أولاً في المدرسة مثّل أطفالهم منافسة علمية قاسية لإخوتي وأخواتي. وضعت هذه الأسر وأطفالهم سقفاً عالياً للتحصيل المدرسي. والشيء الثاني الذي أتذكره عن هذه الأسر هو حديث والدي عنهم كمثل أعلى في اللطف والكرم لم يشهدا مثله في حياتهما.

قوس قزح نشترك به:

اعتدنا على أن نحب ونعجب بسكان هيلو اليابانيين وشعب هاواي بما في ذلك تقاليدهم الخاصة وأنماط حياتهم. في مرحلة ما، بعد أن عاش والدي في جزر هاواي لعدة سنوات أصيب بقرحات خطيرة في معدته وكان لا بد من إزالة جزء منها ومن أمعائه. وقد نقل لي القصة: عندما كانوا يجهزون والدي للجراحة اقترب الطبيب منه قائلاً:، «سيتطلب الأمر إعطاءك دماً كثيراً يمثل الأعراق المتعددة لجزر هاواي. هل أنت موافق؟». كان ردّ والدي «تماماً أحب هذه الجزر وبهذا أصبح جزئياً من سكان هاواي».

كتب والدي سيرته الذاتية أخيراً وعنونها هكذا: «قوس قزح نشترك به». وقد فسر لي العنوان على أنه ثناء وإطراء لأهل هاواي الذين تنوعت ثقافاتهم كتنوع ألوان قوس قزح والذين شاركوه دمهم. تأمل قوس قزح مع إبقاء فكرة التنوع العرقي في ذهنك. قوس قزح بلون واحد لن يكون جميلاً كقوس قزح بألوان كثيرة. لقد كانت تجربتي عندما ألتقي أناساً في كل أرجاء العالم في خمسة وعشرين بلداً على خمس قارات «أن أحتفظ بحكمي عليهم وهذا هو التزامي الأول». لقد تعلمت أنه حالما تناولت العشاء مع أولئك أصحاب الثقافات الأخرى، أو شاهدت رقصاتهم التقليدية واستمعت إلى تاريخهم وزرت بيوتهم عندها سأكون مأخوذاً بهم واحترامي لثقافاتهم سيزداد. لقد اكتشفت أن معرفتي الثقافية الجديدة تجلب لي شعوراً بالرحابة والغنى والتواضع. التواضع في أنني فهمت أشياء عن أناس من ثقافات أخرى:

1- أهداف مشتركة: مخاوفهم وأهدافهم الأولى كانت مماثلة لمخاوفي وأهدافي: إيجاد الهدف، التقدم، إعالة أسرتي والتفاؤل بيومي.

2- صراعاتهم. شعوب أخرى كثيرة في العالم تناضل أكثر لكسب العيش مما أفعل أنا وتستمتع بوسائل الراحة اليومية أقل بكثير مما أستمتع به أنا. عندما أسافر إلى اليابان أدرك مدى اتساع بيتي. وعندما أسافر إلى أفريقيا أدرك مدى الإسراف عندما نسقي مزرعتنا ومروجنا الخضراء بماء الشرب. أتذكر أحد أصدقائي من نيجيريا عندما قام بزيارتنا. لقد صدم لرؤية أطفالي يرقصون تحت مرش الماء على العشب الأخضر ويشربون الماء من الخرطوم.

3- خلفية تاريخية لما يفعلونه. يمتد تاريخهم الثقافي لقرون كثيرة وليس لمئتي سنة فقط. وهذا التاريخ يفسر كثيراً من الأشياء عنهم كنت جاهلاً بها. وحالما بدأت بالاطلاع على مدلول تاريخهم عشت كثيراً من الدهشة والتساؤل عن سبب اعتقادهم وتصرفهم بالطريقة التي يتبعونها، والطريقة التي يلبسون بها وطعامهم الذي يتناولونه وهكذا. مثلاً استغرقت وقتاً طويلاً: كي أفهم لماذا يأكل الإنكليز لسان البقر ومعدته. وقد عرفت أنني لو عشت أنا أو أنت في إنكلترا في العصور الوسطى ولو كنا بين الفقراء والعبيد الجوعى الذين عاشوا في قرى صغيرة خارج القلاع لما كنا هدرنا أي جزء يؤكل من البقرة سمح لنا بالاحتفاظ به. بما أن النبلاء حصلوا على كل الأجزاء اللذيذة فعلاً من البقرة [شرائح اللحم وشرائح الأضلاع وكرات اللحم المفرومة... إلخ] فأصبحنا نبدع في الاكتفاء والرضا بالأجزاء الأقل فتحاً للشهية والبقايا.

4- إسهامات تاريخية لنا جميعاً. في هذه الثقافات الأخرى الرائعة وجدت أن واحداً أو اثنين من شخصياتهم التاريخية قد أسهمت مباشرة أو بشكل غير مباشر بشيء في نوعية الحياة العصرية التي أعيشها. المثال الحقيقي هو تساي لون واختراعه للورق.

5- كثير من أطعمة هذه الثقافات الأخرى هي في الواقع لذيذ الطعم وملون. والرقصات التقليدية للثقافات الأخرى مذهلة. لقد جعلتني الرقصات التقليدية للهند مثلاً مشدوهاً وأنا أراقبها.

6- الصنعة والجمال. الملابس التقليدية للناس في أرجاء العالم غالباً ما تكون ملونة وعملية أكثر من الملابس التي أرتديها. يريني ابني

صوراً لشعب إيكوادور [كويشوان] وقد شعرت بروعة جمال العباءات المصنوعة باليد التي تحمي صاحبها من رياح جبال الأنديز. والخلاصة، بكل صراحة، إن ثقافات العالم الأخرى رائعة إذا تركنا أصحابها وشأنهم وإذا استطعت أن ترى جمالاً في الأضداد. ويدهشني كيف أن الكثير من جيراني في الولايات المتحدة لديهم مصنوعات إنسانية من كل أنحاء العالم تزين منازلهم. وأحياناً لا تُفْهَم هذه الثقافات كثيراً إذا عُرِضت هكذا وقد تكون موضع استياء من قبل رفاقي الأميركيين ومع هذا تتم رعاية هذه الصناعات الإنسانية الثقافية كزينة منزلية.

أديان العالم:

يا له من دور مهم يلعبه الدين في ثقافتنا. إنه العنصر الرئيس لتنوعنا الثقافي. ونحبذ الاعتقاد أن هناك فرصة مستقبلية عظيمة لالتقاء الفلسفات الدينية والتقاليد. إنني مسيحي دون أن أظهر كما لو أنني أتعالى على أصحاب الاعتقادات الأخرى. أتمنى أن أعبر عن مدى اهتمامي بمعتقدات الآخرين. أتذكر إقامتي في فندق رافيلز في سنغافورة قبل سنوات قليلة، كنت بعيداً عن الوطن سافرت على الطرقات لمدة أسبوعين وشعرت بالوحدة والملل. وبينما كنت مستلقياً على السرير أتأمل الوضع ملت بجسدي نحو الخزانة الصغيرة بجانب السرير وفتحت الدرج العلوي لأرى ما يمكن قراءته توقعت أن أرى أنجيل جدعون. عوضاً عن ذلك وجدت تعاليم بوذا. لم يسبق لي أن قرأتها قبلاً، لذلك استعرضت الصفحات. واسترعت انتباهي إحدى الفقرات وتابعت القراءة. اكتشفت وصفاً للأشياء الجميلة التي تحيط بنا في الطبيعة، وصفاً باعثاً على

الرهبــة والمهابة ـ يرتقــي بالأخلاق فيه كثير من المعرفة، يصــف الطيور، الأزهار، الحشــرات والحيوانات من كل نوع وأشجار الفاكهة، عندما نقرأ هذه الأشــياء سيتبادر إلى ذهننا أن نمسك بمنظار ونذهب لمراقبة الطيور أو نطلب من خدمة الغرف باقة من الأزهار التي لاحظت عندها أنها كانت موضوعة على أحد الرفوف.

تعاليم بوذا جعلتني أفكر مرتين قبل أن أدوس بقدمي ثانية الخنفساء في شوارع سنغافورة المزدحمة، شكراً لك يا بوذا الجليل على تعاليمك.

وعندما سافرت عبر بلاد المسلمين في فارس ومنطقة الخليج، سعدت بأولئك الذين كان لديهم الفضول في معرفة خلافاتنا الدينية والذين اختاروا عدم إثارة الجدل أو إظهار الاستياء بيننا. وقد علمت البركة والنعمة في أن ينادوك بكلمة (الحجي) أو الحاج. وقد عرفت أكثر قيمة تاريخ أبينا إبراهيم التي درستها وأنا غلام صغير. أعرف أن الزمن تغير منذ 11/ أيلول/ سبتمبر/ ومنذ أن كنت مع أصدقائي المسلمين، كم أنا حزين لما خربه أولئك الذين ذهبوا بالعقيدة الدينية إلى أقصى مدى من التعصب، برغم أن الديانات تفرقنا إلا أن الإيمان يوحدنا.

القومية:

هناك في الولايات المتحدة من يعتقد أن الكنديين غرباء. حسناً قد يكون كذلك في ناحية واحدة. إنهم إخواننا وأخواتنا الأميركيون الشماليون كما هم المكسيكيون. هذا يذكرني باجتماع عقد في فرانكفورت بألمانيا قبل سنوات حيث اجتمعت مجموعة متنوعة من رجال أعمال دوليين. وحول طاولة المؤتمر كانت هناك تلك اللوحات الصغيرة وعليها أسماء الأشخاص

المشاركين في الاجتماع. بدأ عدد منا في تدوين ملاحظات حول الأصول الثقافية المتميزة للأسماء التي رأيناها وبرزت الأسماء الألمانية، فقد كانت طويلة وإلى حد ما يصعب لفظها، أو هكذا نحن الإنكليز الغرباء اعتقدنا. الأسماء الإنكليزية كانت أقصر وأسهل لفظاً أو هكذا نحن الإنكليز اعتقدنا ثم كانت هناك الأسماء الفرنسية والإيطالية واليونانية وبعض الأسماء الأكثر غرابة وهي من أجزاء مختلفة من أوروبا الشرقية. لقد وجدت الأسماء الهندية لها سحرها الخاص؛ لأن فيها معاني خاصة تتجاوز الاسم نفسه. معظمنا يعرف أن الأسماء الإسكندنافية تشير عادة إلى صلاة عائلية كما في أريكسون. وبينما نحن نعلق على هذه الأسماء المثيرة للاهتمام وذات الألوان التَفَت إلي أحدهم وسألني: «داربي ما هو الاسم الأمريكي النموذجي؟» فكرت. ثم خطر لي أن الأسماء الأمريكية النموذجية التي عرفتها خلال رحلاتي عبر نيوجرسي ساوث كارولينا، تكساس ويس كوسن، كاليفورنيا، نيو مكسيكو، لويزيانا وما مجموعه 47 ولاية من ولاياتنا الخمسين كانت هي نفس الأسماء الألمانية والإسكندنافية والإيطالية والفرنسية والهندية وأسماء أخرى تظهر في اللوحات على طاولة المؤتمر.

وإجابةً عن هذا السؤال عن الاسم الأمريكي النموذجي قلت: لا يوجد اسم نموذجي أمريكي، نحن بوتقة تنصهر فيها كل الثقافات الممثلة حول هذه الطاولة، ربما يكون الاسم النموذجي الأمريكي هو الاسم للأمريكي الأصلي مثل ساكاغاوا أو جيرونيو وتلك قصة أخرى. الرسالة هنا موجهة إلى زملائي الأمريكيين. عندما تشوه سمعة الثقافات الأخرى في العالم فإننا نشوه سمعة ثقافتنا. وهذا يشبه قول أحدهم: أنا أحب النكهة الغنية

لحساء الخضار في الوقت الذي ينتقدون الأشكال الغريبة والألوان المختلفة للخضار فيها. «أنا أحب البطاطا ولا أحب الجزر في الحساء».

من خلال مزج النكهات يصبح الحساء لذيذ الطعم. تلك هي الغرابة في بوتقة الانصهار للتقاليد والخلفيات الثقافية. قبل أيام أبدى أحدهم ملاحظة عندما قال إن طعامه الأمريكي المفضل هو الطعام المكسيكي. هذا تعليق يبعث على الاستغراب.

ثقافة مشتركة:

إننا نعيش خلافات ثقافية كل يوم. هذه الخلافات مرتبطة بأماكن عملنا.

هل تصدق أن واحداً من شمال خط سكة حديد بيرلنغتون قد يلاقي أشهراً من التحدي حالما يبدأ عملاً جديداً مع شركة آبل للحواسيب؟ وما رأيك بشخص ينتقل من فريتولي إلى سيتي بانك أو من بيرو أو من لانزز وماينيز إلى ستاربكس؟ المؤسسات تحافظ على ثقافتها الخاصة هكذا تماماً. في الواقع إن أي مستشار يساعد شركة على بناء فكرة الإخلاص للعلامة التجارية فإنه يتحدث عن التميز وعن كون شركتك مختلفة عن الشركات الأخرى حتى تلك الموجودة ضمن نفس الصناعة. الاختلاف هو القوة واسأل شركة آبل عن ذلك.

كان شعارهم لسنوات هو «فكر بشكل مختلف». إن هذه الاختلافات تؤدي إلى اقتصاد منافس ومع ذلك مفعم بالحيوية مع تشكيلة من الأعمال تلبي الحاجات المختلفة لبلد متعدد الثقافات مثل الولايات المتحدة. إن الذين يقودون بناء شركة عظيمة يسعون إلى تقوية ثقافتهم المشتركة الفريدة،

obeikandl.com

وفي نفس الوقت يجدر بهم ألا يفرقوا في ثقافة صناعتهم الخاصة إلى حد لا يسمح لهم بأن يتمثلوا بسهولة شخصاً من شركة مثل بيرلنغتون الشمالية أو فريتولي.

في الحقيقة الشخص القريب من فريتولي سيكون إضافة جيدة وبنكهة جديدة لثقافة شركة بيرلنغتون الشمالية المتجددة دائماً. والموظف من بيرلنغتون سيكون لديه الكثير من التدريب المناسب لمساعدة زبائن ستاربكس للحصول على ذلك الفنجان الساخن من القهوة وبالطريقة المناسبة.

مجتمعات ومناطق:

لم أعش أبداً في أي من مناطق مدينة نيويورك، ولكني زرت كل واحدة منها. هل أنت من بروكلين برونكس، أيلاند، كوين أو منهاتن؟ يا ألله! يا له من اختلاف لا يصدق بين منطقة وأخرى. يا له من خليط من الإنسانية عجيب! هناك أماكن قليلة جداً على هذه الأرض أفضل من مدينة نيويورك الكبرى لتناول الطعام والاستمتاع بالضيافة. أستغرب ما السبب. عندما كتبت هذا الكتاب كنت أقيم في أريزونا ميسا. وإلى الشمال والغرب من ميسا تقع سكوتس ديل. وعلى مسافة عشرة أميال فقط نستطيع أن نشعر بالاختلاف. أنا وزوجتي سعداء أننا نعيش في ميسا ولكننا سعداء أيضاً أننا نستطيع الخروج لتناول الطعام في سكوتس ديل. وقد أشتكي من أنهم جميعاً أثرياء ومتعجرفون ولكني أعرف أن هذا ليس صحيحاً.

إني أغار فقط وأعرف أنهم أناس طيبون. ولكن المهم أكثر من أي شيء هو أن لديهم معارض فنية ومطاعم يعيشون لخدمتها.

عندما بدأت الاستعداد لكتابة هذا الفصل عن التناقضات الثقافية، صدف أن قرأت إصداراً لمجلة أخبار الولايات المتحدة والتقرير العالمي: W.S News & World Report

وكان في هذا الإصدار مقالتان: صراع ثقافي في الدانمارك والأخرى «الرأسمالية التي تعبر إلى الثقافات». هذه المقالة الأخيرة تتحدث عن شركة استثمار وخدمات مالية في مدينة كانان في ولاية كنكتي كت وهذه الشركة تساعد الشركات الأميركية لتكون مؤهلة للاستثمار ويساعد في ذلك أعضاء في مجتمع رجال الأعمال المسلمين الذين يبحثون عن منتجات استثمارية تتوافق مع الشريعة الإسلامية وهي (قانون إسلامي كما وضعه القرآن) في مساعدة المسلمين على إيجاد أماكن لاستثمار دولارات النفط لمساعدة الشركات الأمريكية، هذا يعد مثالاً ممتازاً على تحويل النزاع إلى تجديد وإبداع. ومما يزيد الاهتمام بهذه المقالة هو عمق النظرة الثقافية التي تقدمها الشريعة: «تمنع المسلمين قطعياً من أخذ أو فرض الربا وتؤمن أن النقود يجب أن يتم إقراضها مقابل موجودات حسية. وتمنع المضاربات وتحرم الاستثمار في مواد مثل لحم الخنزير والكحول والقمار والإباحية. بالنسبة للأمريكيين الذين لديهم فوائد دين مرتفعة جداً، والذين عليهم تجنب المضاربات والقمار والذين يختارون الإقلال من أكل لحم الخنزير والإقلال من شرب الكحول ويبتعدون عن الإباحية. قد تكون هذه الشركة مكاناً لتقديم خطوط توجيه مفيدة».

علمني أقاربي أن الحقيقة هي الحقيقة، لا يهم من أي مكان أتت، إنني مسيحي ورأسمالي معتدل ومع ذلك أتعلم من الشريعة وأحترم مبادئها. وليس علي أن أعتنق فلسفة ما كي أقدرها. وآمل أن يتجاوب المسلمون الذين

ألتقيهم بطريقة مماثلة مع المبادئ التي وجدت أنها مفيدة. إننا نعيش في عصر برزت فيه صراعات ثقافية معينة ذات مضامين محزنة مفزعة. ومع ذلك عندما ننظر إلى التاريخ نجد أنه كان هناك قبائل غازية اجتاحت أراضي وأطلقت العنف وضربت القرى وأخذت الأسرى. الصراعات الثقافية ليست جديدة. في الحقيقة صراعات الثقافة في القرن الحادي والعشرين أقل عنفاً بكثير وأقل تخريباً من أي وقت مضى في التاريخ.

المشكلة هي أن العالم تقلص وأننا الآن نعيش في قرية عالمية. الكثير منا تخيل ربما بسذاجة وقبل الأوان أن الوقت حان لندرك جميعاً على هذا الكوكب أنه باستطاعتنا أن نتعايش بسلام ونستمتع بالتنوع الغني لعالمنا دون تعصب.

نستطيع أن نضع حداً للفقر الذي يولد كثيراً من الاستياء وبذلك نضع حداً للحرب. هل هذه رؤية ساذجة؟ كتب جيفري ساشس «نهاية الفقر» ربما يكون الأهم في عصرنا. يقول لنا إن مثل تلك الرؤيا ليست ساذجة. إنها بكل بساطة اختبار لإراداتنا الجماعية، هل هناك إجابات؟ ربما ليس هناك إجابات محددة، ولكن هناك أسئلة تستحق أن نطرحها وأفكار تستحق أن نشترك بها. هناك أشياء كثيرة رهن الأحداث في هذا الفصل الأول من الألفية الجديدة. صراعاتنا الثقافية العالمية هي الفرصة الأعظم للإنسانية لتحويل التعارض إلى إبداع.

من يملك العالم:

الكثير يطالبون بحقهم في ملكية العالم. على كل حال إذا نظرنا إلى العالم نظرة كلية من نواته المنصهرة إلى غلافه الجوي، من محيطاته

ووديانه إلى قمم جباله الشامخة، ومن غاباته الاستوائية العظيمة وحياته البرية المدهشة إلى تنوع سكانه من بني البشر، فنقول إنه يوجد ثلاثة أجوبة أكثر ملاءمة وقبولاً بالنسبة للسؤال: من يملك العالم؟

• **شخص أو بعض المجموعات أو أمة تملك هذا العالم.** ربما ما زال هناك أولئك المتعجرفون والطامحون سياسياً يفترضون أننا «يجب أن نسود العالم».

• **الله المالك:** معظم سكان العالم يعلنون إيمانهم بقوة عليا أو قوة ما وراء الطبيعة تعمل في هذا الكون. مثل تلك القوة العليا لها الحق في امتلاك هذا العالم.

• **لنا الحق جميعاً في امتلاكه:** عملياً مجموع أعضاء الأسرة الإنسانية تملك هذا العالم وهو الادعاء الأكثر ملاءمة ومعقولية في تملك المكان. إذا كان الله هو المالك إذاً نُعدُّ نحن مستأجرين بخيار شراءٍ بالتقسيط.

نحن شركاء معاً:

إننا نعيش عالماً متقلصاً حيث أصبح التواصل بيننا أسرع وأسهل من ذي قبل. النظر إلى كوكبنا على أنه قرية عالمية ليس مجرد فكرة شاعرية ولكنه واقع بيئي، اقتصادي واجتماعي. ومع كل السنوات التي عاشها الإنسان على هذه الأرض، فنحن اليوم نعيش أكثر العصور تنويراً ومعرفة. لكننا مع ذلك ما زلنا نعمل على مستوى قبلي. يظهر أننا نرتاب بأولئك الذين لا يشبهوننا ولا يلبسون كما نلبس أو يفكرون كما نفعل أو يتعبّدون كما نتعبد. ما زلنا نميل إلى الغضب والازدراء من الآخرين، والاستغلال واللجوء إلى الحرب.

ألم يحن الوقت كي تتولى حركة التنوير الحقيقية زمام الأمور؟ إذا كان كل منا يسعى إلى الرفاهية والسعادة والارتقاء الروحي، ألن يتحقق ذلك بسهولة أكثر في عالم متحدٍ للنضال من أجل السلام؟ ما هي المبادئ التي يمكن أن ترشدنا؟ ربما نستطيع كمواطنين في هذا المجتمع العالمي أن نخفف من غلواء صراعنا ونتفق على أن:

1- **كل واحد منا له حصته ويحتاج إلى صوت.** معاً كأسرة إنسانية نمتلك جميعاً هذا العالم. وبروح الديمقراطية المطلقة يمتلك كل عضو في هذه الأسرة حصة في كيفية الإفادة واستغلال مصادر العالم. كل واحد منا بحاجة إلى التعبير عن كيفية عمل المؤسسات الدولية لكي تخدمنا جميعاً.

2- **نحن جميعاً وكلاء هذا الكوكب.** نزدهر معاً وبشكل أكمل عندما نحافظ على الهواء الذي نتنفسه والمحيطات والحدائق والحياة البرية وحماية بعضنا. علينا المشاركة في اكتشافاتنا وتقنياتنا لتحسين الوضع الإنساني حيث الفقر والمرض والمعاناة.

3- **يجب علينا الاحترام والحماية:** حماية بعضنا يرتكز على هذه الصيغ الأساسية:

آ- ألا نقوم بأي أذى.

ب- أن نضمن التحرر من القمع.

جـ- أن نحترم المعتقدات والقيم والتقاليد الخاصة إلى الحد الذي لا نهدد فيه أمن وخير الآخرين.

4- **كنا دائماً نعتمد على بعضنا اقتصادياً منذ أسواق القرية القديمة حتى التجارة اليوم في القرية العالمية.** في الوقت الذي ننظر بأمل إلى مرحلة ما بعد الحرب العراقية، فإن أي بقاء للاستيلاء أو الكراهية أو تبادل الاتهامات الدولية والخصومات القديمة أو الطموحات السياسية ليس أكثر من قصر نظر وضرر لنا جميعاً. الأسرة الإنسانية تستطيع أن تتغلب على ذلك وتسير قدماً.

5- **نحن متحدون ضد الإرهاب.** إن أعمال الإرهاب والخوف منه أصحبت أخطر مشتت للأسرة الإنسانية، وينشأ عن التربية والتحامل البغيض. إنه يهدد بسرعة رفاه الجميع، وعلينا أن نتحد لاستئصاله.

6- **الحاجة إلى الحرب دلالة على الفشل،** في مرحلة ما بعد الحادي عشر من أيلول، يمكننا أن نصل إلى استنتاج أن العمليات الحربية قد تكون أحياناً ضرورية للدفاع عن حرية الأمم أو لتصحيح مظالم يعاني منها شعب ما. مع ذلك لا بد أن يكون الأمل الكبير لكل بني البشر أن العمليات الحربية ستكون مستنكرة وعلى نحو متزايد في عالم يزداد تنوراً، وإلا فإن الحرب هي علاقة فشل في التغلب على أكثر الخصال الإنسانية بشاعة، كالأنانية، الجشع، الغدر والخداع والعنف وقبل كل شيء إنها دلالة على فشلنا في التواصل. الحرب من أكثر أشكال الصراعات تدميراً التي يجب التغلب عليها، علينا أن نثبت أن حضارتنا تقدمت بما يكفي لنجد طرقاً لحل أعمق خلافاتنا بحيث لا تدمر الأسرة نفسها والقرية التي نحن جزء منها.

openkanal.com

7- **الأطفال في مقدمة أولوياتنا**، أعظم أولوية لأسرتنا الإنسانية هي سلامة وثقافة وسعادة أطفالنا. كل الاهتمامات الأخرى تافهة بالمقارنة بذلك. ونحن بني البشر عندما نسير باتجاه كل قرار مصيري، فإن طريقنا ستحدده أو تغيره هذه الأسئلة البسيطة: «ما الأفضل لأطفالنا؟» ماذا يتعلم الأطفال من تصرفاتنا وأعمالنا؟ هل سيكون العالم مكاناً أكثر أمناً وود اً وتشويقاً لنعيش فيه ونزدهر؟ وفي هذا المكان سنجد الأرضية المشتركة التي نحن بأمس الحاجة إليها. وهنا سنحول التعارض إلى تجديد بحيث نحقق أعظم فائدة دائمة لنا جميعاً.

العصر العظيم:

نتحدث عن عصور مختلفة للإنسانية بما فيها العصر الصناعي الذي أثر على الجسم الإنساني الآلات من كل الأنواع، وعصر المعلومات الذي رفع من قدرة العقل الإنساني بتقنيات الحاسوب والاتصالات. ودخلنا مع الألفية الجديدة عصراً حديثاً ما زال علينا أن نسميه. إذا رفعنا من قدرة الجسم الإنساني والعقل الإنساني فربما هذا هو العصر الذي نرفع فيه الروح الإنسانية. أي روح هذه؟

إنها روح الوحدة التي تتجاوز كل الصراعات الحاضرة لنجد حلولاً وسط تنوع عالمنا المذهل. بوذا يعلمنا جميعاً، مسيحيين ومسلمين ويهوداً وهندوساً وبوذيين وكذلك كل تلك الثقافات والعقائد الأخرى، يعلمنا أن «نخفف الوطء حيث تنمو الأشياء الحية». إنها روح الاحترام لكل شيء ولكل مخلوق موجود على سطح هذه الأرض لغاية ما، غاية علينا أن نسعى أكثر لفهمها ونقلل من الجدل فيها.

دعوة خاصة: اسمحوا لي أن أدعوكم لزيارة موقعي على ديب سايت:

www.DarbyChecetts.com

لطلب نسخة مجانية من الكتاب الإلكتروني من يملك العالم: الحكاية الرمزية لـ «تيهيا» هذه الحكاية الرمزية تجري أحداثها في الزمن الغابر وتبدو كأنها جرت البارحة. تقع أحداثها في أرض نائية تذكرك بقرية مجاورة. تكشف هذه القصة الرمزية حكمة قديمة وهي حقيقة في عالمنا الحديث. إنها تتحدث عن الجمال الأصلي والقبائل وأهمية الطفل الواحد. صور القصة مركب قصص لأشياء رائعة تعلمتها عبر السنوات، صور لأماكن جميلة في خمسة وعشرين بلداً زرتها، وانطباعاتي عن أشخاص بمنتهى الروعة في الماضي والحاضر في كثير من الثقافات في كل أرجاء العالم. تيهيا تسأل والدها السؤال العميق: من يملك العالم؟

في ختام الكتاب تكشف أم تيهيا للزعماء الكبار ما هو الأكثر أهمية بالنسبة لأسرتنا العالمية المتسعة في هذا الوقت من التاريخ.

obeikandl.com